خواطر

من خطبة النبي الأكرم ﷺ في استقبال شهر رمضان

(الحلقة الرابعة)/ محمد حسن آل إبراهيم

▪ **أيها الناس!**

نبي تلو مرسل، ووصي إثر رسول، وصحف إثر زُبر.. نداء بعد نداء يطرق أسماع الناس على مدى الأعصار ليفيؤا لأمر الله ويزدجروا عما نهاه الله ويلتفتوا إلى دين الله؛ قَالَ جَلَّ في عُلاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة (١٨٣). تتوالى النداءات تذكرة للعاقل وتنبيهاً للغافل، وهاهي نداءات الرسالة وهتافات الرسول ﷺ تقرن العلم بالعمل والمعرفة بالسلوك، والفهم بالتطبيق

والإدراك بالاستدراك؛ وبعد أن حدثهم النبي الأمين ﷺ عن مقام المصلين، وثواب الساجدين، وتوهجت أرواحهم بما تقاطر من زيتون المشكاة الذي يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار؛ فأشعل في دواخلهم جذوات الوجد، وأيقظ في سرائرهم جذبات القرب، وتاقت أنفسهم لتذوق حلاوة المناجات، وهفت أرواحهم لتمثل وقفات الملق والملاقاة، وهتفت أفئدتهم بأعذب النداءات: (يا من أذاق أحباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين! ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بين يديه مستغفرين!)؛ هاهو نبي الرحمة ﷺ يوجه أنظارهم جهة أخرى ويضيئ لهم درباً من دروب الله والعمل الصالح ويفتح لهم باباً من أبواب المحبة والرحمة وينشر لهم طيباً من طيب الجنة، وهو الذي حين سئل ذات مرة فقيل له ﷺ من أحب الناس إلى الله؟ قال: (أنفع الناس للناس)، و(الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله)[1]، ها هو ﷺ يقول:

(١) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – الصفحة ١٦٤.

■ **مَن فَطَّرَ[١] مِنكُم صَائِمًا[٢] مُؤمِناً[٣] فِي هَذَا الشَّهرِ[٤]،**

بلى وقد ورد عنهم عليهم السلام: (إن الله يحب إطعام الطعام...)[٥]، فهذا العمل في ذاته محبوب، وفي شهر الله مرغوب، وإكراماً للمؤمن الصائم مندوبٌ ومطلوب، وهكذا تتظافر الأعمال وتتكامل، وتتواصل الناس وتتكافل، ويتلاقى المؤمنون على موائد المحبة، ويتقاسمون العمل الصالح كما يقتسمون قرص الخبز، فيعتادون عوائد الخير من كرم وعطاء وبذل وتترسخ فيما بينهم أواصر المودة. ولكل أجره غير منقوص، فإن إجابة دعوة

---

(١) معنى فطر (في الأصل الشق طولًا) مفردات غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - ص ٣٨٢. ومنه الإفطار أي شق الجوع أو العطش بالماء أو الطعام، وتتفرع من هذا الأصل معانٍ كالكسر والخلل كما في قوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ الملك (٣).

(٢) الصوم الإمساك عن الشرب والأكل أو الكلام وشرعاً العبادة المعروفة.

(٣) المؤمن: العارف بأهل البيت عليهم السلام المعترف بإمامتهم.

(٤) شهر رمضان، نزله منزلة الحال المشاهد فأشار إليه، وحلّيت بـ(ال) للعهد الذِكري.

(٥) المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ٢ - الصفحة ٣٨٨.

المؤمن عظيمة الشان، فلو كنت في غير شهر رمضان ودعاك أخ لك في الدين للفطر كانت إجابتك له أحب إلى الله من صيامك لعظم حق المؤمن على الله وهضم الحق جفاء، فعن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاثة من الجفاء: أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأن يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب، أو يجيب فلا يأكل..)[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من الحقوق الواجبات للمؤمن على المؤمن أن يجيب دعوته)[2].

وحكمة ذلك أنه يدخل السرور على قلبه ، ففي محاورة بين الصادق عليه السلام وأحد أصحابه سأل الإمامُ الرجلَ:

فما ثواب من أدخل عليه السرور؟

فقلت: جعلت فداك عشر حسنات؟

فقال: إي والله وألف ألف حسنة!.

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٧٢ – ص ٤٤٧
(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٧٢ – ص ٤٤٧

فإجابة دعوة المؤمن للمؤمن من أحب الأعمال إلى الله وإلى رسوله ﷺ .

هذا لمن أجاب الدعوة فما لصاحب الدعوة من أجر؟

يجيبنا الرسول الأعظم ﷺ :

▪ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِندَ الله عِتقُ نَسَمَةٍ،

قصعة من طعام في هذا الشهر العظيم والمذهل بفضائله وعطاياه ونواله تقفز بمعدل حسناتك إلى مقامات عالية ومراتب شريفة.

وماذا يعني عتق نسمة؟

هنا تتناغم آيات القرآن الكريم مع كلمات نبي المكارم الرسول الخاتم فيجيبنا الوحي المنزل من السماء على قلب خاتم الأنبياء:

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ ...﴾ البلد (١٢-١٤).

حين تفطر مؤمناً عارفاً بأهل البيت عليهم السلام فكأنك أعتقت رقبة مؤمنة عارفة بحقهم عليهم السلام، وفي هذه العبارة يمتزج المعنى التفسيري بالتأويلي فيصح أن تكون العقبة هي من عقبات الآخرة كالصراط الصعب المجاز يوم

القيامة، وتصح أن تكون عقبة من عقبات النفس التي تحول دون الإذعان للحق بولاية أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم،

فالعتق والإطعام من المصاديق البارزة لاجتياز عقبة النفس، وحين يتقدم الإنسان بخطى ثابة في العمل الصالح فإنه يتماثل للنجاة ويتأهل للشفاعة، فإن ولاية أهل البيت عليهم السلام وشفاعتهم لاتنال دون سعي وعمل وجد واجتهاد.

وهذا المورد (إفطار الصائم) هو من موارد رضى أهل البيت عليهم السلام حيث أنهم أبرز مصاديق البر والإحسان والعطاء والبذل والكرم في جميع موارد مدح المؤمنين والمحسنين في القرآن الكريم فهم القدوة والمثل الأعلى في في كل آيات القرآن وهم الذين عنى الله سبحانه في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان (٨)، وغيرها من الموارد.

و عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: (فلا اقتحم العقبة) قال: نحن العقبة، ومن اقتحمها نجا، وبنا فك الله رقابكم من النار[١].

و عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: (فك رقبة) قال: بنا تفك الرقاب وبمعرفتنا،

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٤ - الصفحة ٢٨٢

ونحن المطعمون في يوم الجوع وهو المسغبة[1].

▪ **وَمَغفِرَةٌ[2] لِمَا مَضىَ مِن ذُنُوبِهِ[3]**.

وكفى بها مثوبة وكفى بها جزاءً أوفى، أن يجلل الله سبحانه عبده بالستر وأن يقيه عذاب الآخرة، ويطهر روحه من الشقاء وما جرته عليها الذنوب وأحاطت بها الخطايا من آثار وما لزمها من تبعات وما لحقها من إصر وما أثقلها من أغلال.

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٢٤ – الصفحة ٢٨٢

(٢) (الفرق بين العفو والمغفرة: قد فرق بينهما بأن العفو: ترك العقاب على الذنب، والمغفرة: تغطية الذنب بإيجاب المثوبة. ولذلك كثرت المغفرة من صفات الله تعالى دون صفات العباد، فلا يقال: استغفر السلطان كما يقال: استغفر الله. وقيل: العفو: إسقاط العذاب. والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب الخزي والفضيحة). الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري – ص ٣٦٣

(٣) (الفرق بين الذنب والقبيح: أن الذنب عند المتكلمين ينبئ عن كون المقدور مستحقاً عليه العقاب، وقد يكون قبيحاً لا عقاب عليه كالقبح يقع من الطفل. قالوا ولا يسمى ذلك ذنباً وإنَّما يسمى الذنب ذنباً لما يتبعه من الذَّم، وأصل الكلمة على قولهم الاتباع ومنه قيل ذَنَبُ الدابة لأنه كالتابع لها والذَّنوب: الدلو التي لها ذَنَب، ويجوز أن يقال إن الذَّنب يفيد أنه الرذل من الفعل الدنئ. وسمي الذنب ذنباً لأنه أرذل ما في صاحبه. وعلى هذا استعماله في الطفل حقيقة). الفروق اللغوية – أبو هلال العسكري – الصفحة ٢٤٥

إن هـذا الغفران يؤهل الإنسـان لاسـتئناف العمل كيوم ولدتـه أمـه كـما في لسـان بعـض الروايـات، وحـين يكـون كذلـك يرجـع لفطرتـه الصافيـة وسـجل أعمالـه خـال مـن السـيئات وكأن هاتفـاً يهتـف بـه مـن شرفـة النفـس : إنه قد غُفِـر لـك فاسـتأنف العمـل وهـذا سـجل أعمالك قـد طهر لتكتـب فيـه أحسـن الأعـمال وخـير الصالحات.

وهـذه علامـة مـن علامات القبـول حيث يجد الإنسـان في داخلـه روحـاً طلقـةً تتفتـح في أروقتهـا أكـمام المعـاني، وتتفتـق في أفنائها لغة السـعي والتفاني، فيقـف بإدراكها على فقه: «واسـتبقوا الخـيرات»، بعد أن عبر فيافي «وسـارعوا إلى مغفـرة مـن ربكـم وجنـات»، وها قـد تبدلت السـيئات إلى حسـنات، فـما يسـوؤك في نفسـك قـد غُفِر وسُـتر وأُنْسِـيتَ همّـهْ، وحبيت بالسـعادة وأدركتـك الرحمة.

▪ قِيلَ: يَا رَسُولَ الله!
فَلَيسَ كُلُّنَا يَقدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ - صلى الله عليه وآله-:
اتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشَربَةٍ مِن مَاءٍ.

ولهذه المحاورة دلالتان:

الأولى: أن الظروف الاقتصادية آنذاك لكثير من المسلمين لم تكن تمكنهم من البذل والإطعام.

الثانية: أن فهمهم لمعنى التفطير على إطلاقه هو الإيلام أو الإطعام حد الشبع ولذلك كان الاستفسار حيث يشق ذلك على الكثير.

وفي رواية مشابهة (عن رسول الله ﷺ انه خطب الناس في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم إلى أن قال عليه السلام: من فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شئ فقال بعض القوم يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم فقال ﷺ يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً على مذقة لبنٍ أو تمرٍ أو شربةِ ماءٍ، و من أشبع صائماً سقاه الله من حوضي شربةً لا يظمأ بعدها)[1].

(١) جامع أحاديث الشيعة – السيد البروجردي – ج ٩ – الصفحة ٢٦٧.

حين يدرك الإنسان عظمة العمل وعظم الثواب عليه يسهل عليه العمل وإن شق ويهون عليه الإتيان به وإن أجهده، فمن يطلب الآخرة لابد أن يسعى لها سعيها، ومن يطلب غاية لابد أن يتحمل مشقة الوصول لها، وكم من الأعمال التي نستعظمها ولكنا حين يجزل لنا العطاء تسمح أنفسنا ببذلها في راحة والراحة هنا هي راحة الروح التي إن قويت على عمل لم يضعف عنه بدن، وهكذا فإن النجاة في الآخرة من لهيب النار أمر عظيم الخطر فإذا ما أخبرك أحدهم أنك تستطيع حين تتخلى عن حصة من وجبتك أن تظفر بالنجاة فإنك تسترخص الثمن وتستعظم المثمن وتسعى لتوفير اشتراطت الحصول عليه، فكيف إذا كان سبيل الخلاص والحجاب بينك وبين النار هو شق تمرة أو شربة من ماء أو مذقة من لبن؟!

فمن لم يستطع أن يفطّر مؤمناً صائماً بإفطار مشبع يرفع عنه الجوع ويروي عطشه، فلا أقل من أن يبل عروقه بجرعة من ماء أويطعمه تمرة أو بعض تمرة، إن

هـذا الفعـل لايعسر عـلى الكثـير والله سـبحانه وإن كان أراد الفـرد الأكمل من مصاديـق الإطعام ، إلا أنـه بكرمه ورحمته قـد جعل لمسـمى الإطعـام ذات الثواب تحنناً منـه ورحمة على مـن يعـوزه ذلـك كما قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(إن الله تبـارك وتعـالى كريـم، يعطى هذا الثـواب منكم مـن لم يقـدر إلا عـلى مذقة مـن لبن يفطـر بها صائـماً أو شربة مـن ماء عـذب أو تمـيرات لا يقدر عـلى أكثر من ذلـك)[1].

ولكـي يـزداد المؤمن تحفيزاً للبـذل يروي لنـا أبو عبدالله الصـادق عـن أبيـه عليه السلام قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم مـن فطـر صائـماً كان لـه مثـل أجـره من غـير أن ينقص منه شـئ ومـا عمـل بقـوة ذلك الطعـام من بـر)[2] .

فكل عمـل يعمله الصائم بقوة هذا الطعـام ثوابه مردود لصاحـب الطعـام وكل أجرٍ يجتنيـه يثمر عليه أعـمالاً صالحة تكتـب في سـجل أعمالـه دون أن ينقـص مـن أجرهمـا شيء.

(١) جامع أحاديث الشيعة – السيد البروجردي – ج ٩ – الصفحة ٢٦٧.
(٢) جامع أحاديث الشيعة – السيد البروجردي – ج ٩ – الصفحة ٢٦٩

وهكذا تتضاعف الأعمال إذا تراكمت العناوين، فإن الثواب الموسوم بعتق نسمة في بعض الروايات يعني عتق نسمة من ولد اسماعيل، وحتماً فإن الإحسان إلى ذراري الأنبياء عليهم السلام له أجر مضاعف، وإذا كان المؤمن الصائم محتاجاً فإن الله سبحانه لايضيع أجر من أحسن عملاً؛ فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من أطعم مؤمنا مؤسرا كان له بعدل رقبة من ولد إسماعيل ينقذه من الذبح، ومن أطعم مؤمنا محتاجا كان له بعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل ينقذها من الذبح)[1].

وفي هذه الرواية معنيان فإما أن تكون العبارة معناها أن له ثواب من أنقذ رقبة من ولد اسماعيل من الذبح، وإما أن يكون المعنى عدل رقبة (يعتقها) وينقذها من الذبح.

والأظهر الثاني باعتبار أن عنوان الرقبة إذا أطلق تبادر للرقبة المملوكة ولو أراد مجرد إنقاذ حياة لعبّر عنها بنفسٍ

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٧١ – الصفحة ٣٧٨

أو نسمة، ولا يقال بأن الرواية السابقة عبرت عن المملوك بالنسمة لأنا فهمنا ذلك بقرينة قوله (عتق) نسمة.

إن استلهام المعاني الجسام في ثواب تفطير المؤمن الصائم مما لا تستوعبه هذه السطور اليسيرة وإن مراتب الثواب لتترادف وتتعدد بحسب مراتب العمل والعناوين التي يقصدها العامل وتتوافر في العمل، ويكفي المؤمن أن ينال ثواب ما روي عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: (من فطر مؤمنا وكل الله به سبعين ملكا يقدسونه إلى مثل تلك الليلة من قابل)[1].

فكم هي نعمة كبرى أن تتيسر سبل النجاة بعملٍ يقربك من الله ويحببك إلى عيال الله وتنال به كرامة الله ورضوانه ويقيك شر الآخرة ويحبوك بجنانه ، ثم يوكل الله بك من الملائكة سبعين ملكاً هم أعوانك في تطهير نفسك وتوفير نية الخير والرشد وإلهامك الطاعة

(١) جامع أحاديث الشيعة – السيد البروجردي – ج ٩ – الصفحة ٢٧٠

والقربـات ، ويكونـون جنوداً لـك في خواطر الخـير فتطيب النفـس وتجمـل الأخـلاق ويحسـن العمـل.

نسـأل الله سـبحانه أن يمـن علينـا بفضلـه وأن ينيلنـا أجـر العاملين، وشرف خدمـة الصائمين، وثـواب المطعمين والسـاقين إنـه ولي حميـد.

(وإلى لقاء آخر في حلقة جديدة إن شاء الله)

١٥ من شهر رمضان المبارك ١٤٤٤هـ

خواطر

من خطبة النبي الأكرم ﷺ في استقبال شهر رمضان

(الحلقة الخامسة)/ محمد حسن آل إبراهيم

▪ **أَيُّهَا النَّاسُ!**

ويستمر عطر النبوة يضوع بين ظهرانيهم، ويتأرج نشر خزاماه في أفنيتهم، ويسوق نسيم صبا الوحي بصائره في أروقة وجدانهم، وكمزامير داوود تتقاطر أنغامٌ عذبة مقدسة في أسماع قلوبهم، ويتحدر مزن السماء زلالاً على جدب أرواحهم، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1].

وكيف لا يكونوا كذلك وإتيان المعصوم إكسير

---

(١) الحج (٥).

أعظم يحيي العظام وهي رميم، ويجعلك مزاراً ومزوراً للملائكة!

- فكيف يكون ذلك؟

يقول سلام بن المستنير قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين وسأله عن أشياء فلما هم حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أخبرك - أطال الله بقاءك لنا وأمتعنا بك - أنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا وتسلوا أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما هي القلوب مرة تصعب ومرة تسهل.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق قال: فقال: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكرتنا و رغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة

والنار ونحن عندك فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والاهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأنا لم نكن على شيء؟

أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقا؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: كلا إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء)[1].

وهكذا تشرق النفوس، وتصفو النيات، وتترسخ المعارف، وتعلو الشمائل، وتنبع المعرفة، وتنمو شجرة القيم في قلب المؤمن، وتينع الخصال، وتنتج الصالحات، وتتهذب النفس وترق الطباع، كل ذلك من فيض رحمة الله وبركاته في شهره الكريم، حيث يجدّ الصائم ويجتهد القائم ويفيد من نور رحمة الله ما يطبب روحه ويشفي جروحه ويعلي صروحه، فمن سارع لاقتناص فرص

(١) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – الصفحة ٤٢٤.

الخير فقد ظفر، ومن بادر لقبس جذوات النور فقد ربح، ومن زحزح عن موجبات النار فقد فاز، ومن طهر روحه كان له بها على الصراط جواز لقول النبي الأمي ﷺ فـ:

▪ مَن حَسَّنَ مِنكُم فِي هَذَا الشَّهرِ خُلُقَهُ،

- فكيف يحسن المؤمن خلقه؟

شهر رمضان حقل زماني، والصيام محراث الخلق الكريم حيث يغرس الصائم عروق الصبر فتنمو وتكبر وتتبرعم شجرة المكارم وتينع بأحسن الصفات وتنتج أجمل خلق ، وفي ذات الوقت يقتلع الصبر النباتات الضارة والطفيليات والحشائش التي تنمو على حساب النافع من نبات الخير.

إن من أهم ما يتوجب على المؤمن أن يعنى به مراقبة نفسه وهذا عيناً ما يفعله الطبيب عند فحص الحالة فهو يجتهد في فهم الأعراض والآثار الظاهرة ليتوصل لجذور

المشكلة وبعد ذلك يحدد نوع الدواء المناسب.

كذلك تكشف المراقبات النواقص الذاتية وعيوب النفس، ومكامن الخلل والثغرات التي ينفذ منها العدو اللدود للإنسان، فكل إنسان سوي قد أودع الله فيه معرفةً فطرية بالخير والشر والحسن والقبيح، والعدل والظلم، وكل ما يصدر من الإنسان لايعدو هذه الثنائية فإما أن يكون الفعل منه حسناً وإما أن يكون قبيحاً، وإنما يحجب الهوى الهدى بما يكسب الإنسان من سيئات تحجب عنه نور العقل الهادي للرشد أو تضعفه فـ لله الحجة البالغة، قَالَ اللهُ جَلَّ في عُلاه: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾، القيامة (١٤-١٥).

فعلى الإنسان أن يراقب نفسه ويمتحنها، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل خص رسله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله واعلموا أن ذلك من خير، وإن لا تكن فيكم فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها، قال فذكر [ها] عشرة: اليقين والقناعة

والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروة قال: وروى بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق وأداء الأمانة.

- التضرع لنيل مكارم الأخلاق

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنالنحب من كان عاقلا، فهما، فقيها، حليما، مداريا، صبورا صدوقا، وفيا. إن الله عزوجل خص الانبياء بمكارم الاخلاق، فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك ومن لم تكن فيه فليتضرع إلى الله عزوجل وليسأله إياها، قال: قلت: جعلت فداك وما هن؟ قال: هن الورع والقناعة والصبر و الشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والبر وصدق الحديث وأداء الامانة[1].

ولنتحدث هنا حول الشكر، فالآخلاق شجرة إذا رأيتم واحدة منها فانتظروا أخواتها كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ، ويبدو لي أن الشكر تتحلق حوله سائر

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٥٦.

المكارم لما له من محورية في المعرفة والإيمان، ولأن الله سبحانه قد ذكره في كتابه المجيد مقروناً بشهره الكريم.

حيث نتبين أن الغاية الكبرى لجملة أعمال شهر رمضان الشكر، قال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ...﴾ وفي ذيل الآية يقول ربنا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة (١٨٥).

وفي المحاسن، عن بعض أصحابنا، رفعه في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قال: الشكر المعرفة، وفي قوله ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ فقال: «الكفر ههنا الخلاف، والشكر الولاية والمعرفة»[1].

ونحن في زيارة أمين الله نناجي الله سبحانه يارب اجعل أنفسنا: (شاكِرَةً لِفَواضِلِ نَعْمآئِكَ ذاكِرَةً لِسَوابِغِ آلائِكَ). وفواضل النعم الولاية وسوابغ الآلاء الهداية،

(١) المحاسن - البرقي - ج ١ - ص ١٤٩

والنفس الشاكرة هي العارفة بالنعمة والآلاء الحامدة في السراء والضراء.

إن النفس بفطرتها وبما أودعت من معرفة تدرك أن الشكر حسن والكفر قبيح، وهذا هو ميزان الأخلاق برمتها، فشكر المنعم معرفته ومعرفة ما يتوجب تجاهه من حقوق ومعرفة الطريق التي شرعها للوصول لذلك والهداة الذين نصبهم أدلاء على سبيله.

وكلمة (لعل) في الآية الآنفة الذكر توحي بأن الشكر غاية لاتدرك بالسير الوئيد ولا تنال باليسير من العمل بل تحتاج لبذل الوسع والتشمير عن ساعد الجد والمثابرة والعمل الدؤوب بالتزكية والتعليم.

قَالَ اللهُ جَلَّ و عَلَا: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ سبأ (١٣).

إن شكر الله حق شكره من المحالات التي يعسر على الإنسان إدراكها إذ هو الموفق سبحانه للمعرفة وللشكر

ولشكر الشكر ، وهكذا بالتسلسل اللانهائي يستحيل على الانسان أن يوفي ربه شكر نعمة من نعمه فكيف بجميعها .

ولكن على الإنسان أن يخط طريقه في رحلة الشكر ويحث خطاه في السعي ليكتب من الشاكرين، بثباته على القيم والمبادئ ومكارم الأخلاق التي جاءت رسالة خاتم الأنبياء لتتمها.

وإذا ما كتب الإنسان من الشاكرين فقد نجى من العذاب، وجاز لواحات الرضا ودوحات الرضوان، قَالَ تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ النساء (١٤٧).

ويقول الرسول الأعظم ﷺ إن من حسّن في شهر رمضان خلقه:

- **كَانَ لَهُ جَوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ يومَ تَزِلُّ فِيهِ الأَقدَامُ،**

- لماذا يحسن المرء خلقه؟

أوليس شهر رمضان شهر حُبينا فيه بكرامة الله فلماذا هذا الشرط؟

أوليس من فطّر صائماً فكأنما أعتق نسمة وغفر ما مضى من ذنوبه فما الذي يجعل الصراط وعراً ويمنع الجواز عليه وبالتالي يكون مصير الانسان السقوط في قعر جهنم !!

يروي لنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قوله:

«إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل».

وسوء الخلق صفة للنفس من شأنها أن تفسد النية وشاكلة المرء التي قوام العمل فلا عمل بلا نية وإنما الأعمال بالنيات.

وحين يتشوش الهدف تخطئ السهام فلا تصيب مراميها، فالصدقة التي يتبعها منٌّ وأذىً مصيرها أن تكتب في قائمة الأعمال الباطلة، وهكذا سائر الأعمال التي تنقض غرض المشرّع فإنها لا تحقق غاياتها وبالتالي يأتي الإنسان في

وقت الشدة صفر اليدين فلا ينتفع بما عمل ، لأن العمل لايكون صالحاً إلا إذا سلمت النفس وسلم القلب من كل ما يشوبه من صفات سيئة فالبلد الطيب يخرج نباته طيباً بإذن الله، والذي خبث لايخرج إلا نكداً!!

- علاقة الخلق بالتوبة

ولكننا نتحدث هنا عن المؤمن الذي يفترض به أن يكون طيب القلب سليم الطبيعة؟!

نعم إن النفس لتصاب جراء الذنوب بأعراض وأمراض وأدران من الذنوب وآثار من الآثام التي على الإنسان أن يجتهد في تطهير قلبه منها وتنقيتها من الرواسب التي من شأنها أن تولد الغفلة وتطيل الأمل وتحجب التوبة .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أبى الله عز وجل لصاحب الخلق السيئ بالتوبة. قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: لأنه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه)[1].

(١) شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ٩ - الصفحة ٣٥٤

بل إن سوء الخلق يصل بنوبته إلى مستقر الإيمان فيعمل على تغييره وإفساده، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن سوء الخلق ليفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل)[1].

وإذا اتضح لنا العلاقة الوثيقة بين الخلق والإيمان نعي جيداً حقيقة الموانع من اجتياز الصراط .

- فماهو الصراط؟

هو طريق كالجسر يمر على جهنم ويخلص للنجاة ومن ثم الجنة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ مريم (٧١ - ٧٢).

وورد في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: (الصراط المستقيم صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة فأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر من الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شئ من الباطل، وأما الصراط في الآخرة فهو طريق المؤمنين إلى

(١) شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ٩ - الصفحة ٣٥٤

الجنة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنة)[1].

وعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على ظهراني جهنم، لا يجوزها ولا يقطعها إلا من كان معه جواز بولاية علي بن أبي طالب)[2].

(قال الشيخ المفيد رفع الله في الجنان درجته: الصراط في اللغة هو الطريق فلذلك سمي الدين صراطا لأنه طريق إلى الثواب، وله سمي الولاء لأمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام صراطا، ومن معناه قال أمير المؤمنين عليه السلام: « أنا صراط الله المستقيم وعروته الوثقى التي لا انفصام لها ». يعني أن معرفته والتمسك به طريق إلى الله سبحانه وقد جاء الخبر بأن الطريق يوم القيامة إلى الجنة كالجسر تمر به الناس، وهو الصراط الذي يقف عن يمينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن شماله أمير المؤمنين عليه السلام، ويأتيهما النداء

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨ - الصفحة ٧٠
(٢) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ - محمد الريشهري - ج ٨ - الصفحة ١٥٧.

من الله تعالى: « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد » وجاء الخبر أنه لا يعبر الصراط يوم القيامة إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب عليه السلام من النار، وجاء الخبر بأن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف على الكافر،....الخ)[1].

ومن خلال هذه الأحاديث وبيانها يتضح لنا الارتباط الوثيق بين توجيهات الرسالة وكلمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بعدها السلوكي في الخطبة المباركة وبين المعرفة والولاية لله وللرسول ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسيأتيك في ذيل الخطبة ما يثبت هذا الامتزاج المبهر حيث بكى رسول الله ناعياً علياً، وإليك هذه الرواية :

روى جمال الدين يوسف بن حاتم الفقيه الشامي رحمه الله في كتاب الأربعين عن الأربعين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام عن حماد بن يزيد، عن عبد الرحمن [بن] السراج، عن نافع، عن ابن عمر قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٨ – الصفحة ٧٠

عن علي ابن أبي طالب عليه السلام فقال: فما بال قوم ينكرون من له منزلة [عند الله] كمنزلتي؟!

ألا ومن أحب عليا فقد أحبني، ومن أحبني رضي الله عنه، ومن رضي الله عنه كافأه الجنة، ألا ومن أحب عليا يقبل الله صلاته وصيامه وقيامه واستجاب الله دعاءه، ألا ومن أحب عليا استغفرت له الملائكة وفتحت له أبواب الجنة يدخل من أي باب شاء بغير حساب، ألا ومن أحب عليا لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من شجرة طوبى ويرى مكانه من الجنة، ألا ومن أحب عليا أعطاه الله في الجنة بعدد كل عرق في بدنه حورا، ويشفع في ثمانين من أهل بيته، وله بكل شعرة في بدنه مدينة في الجنة، ألا ومن أحب عليا بعث الله ملك الموت إليه برفق، ودفع الله عز وجل عنه هول منكر ونكير، ونور قلبه وبيض وجهه، ألا ومن أحب عليا نجاه الله من النار، ألا ومن أحب عليا أثبت الله الحكم في قلبه وأجرى على لسانه الصواب وفتح الله له أبواب الرحمة، ألا ومن

أحب عليا سمي في السماوات أسير الله في الأرض، ألا ومن أحب عليا ناداه ملك من تحت العرش أن يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر الله لك الذنوب كلها، ألا ومن أحب عليا جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر، ليلة البدر، ألا ومن أحب عليا وضع الله على رأسه تاج الكرامة، ألا ومن أحب عليا مر على الصراط كالبرق الخاطف، ألا ومن أحب عليا وتولاه كتب الله له براءة من النار وجوازا على الصراط وأمانا من العذاب، ألا ومن أحب عليا لا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان ويقال له: ادخل الجنة بغير حساب،...)[1].

وإننا نقرأ في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام الموسومة بزيارة أمين الله ما نصه: (اَللّٰهُمَّ فَاجْعَلْ نَفْسى ...) ونذكر جملة من الصفات النبيلة ومنها (مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ اَوْلِيآئِكَ) إلى أن نصل لمرتبة من الصفاء والنقاء فتكون أنفسنا (مُفارِقَةً لِاَخْلاقِ اَعْدائِكَ).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٩ - الصفحة ٢٧٨

ومن أخلاق أعداء الله الحسد لأولياء الله وأصفيائه ولذلك قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ النساء (٥٤).

وإنما لعن الشيطان الرجيم بشر خلقه وهو الحسد، وإنما أخرج الإنسان من جنة القناعة الطمع.

- فمن أين أبدأ بتحسين خلقي؟

يجيبنا سيد الساجدين وزين العابدين في دعاء مكارم الأخلاق الذي شمل غر الفضائل وعم خير الشمائل وضم أمهات المكارم، فبدأ عليه السلام بدعائه تالياً ببناته فكانت أولى فقراته قوله عليه السلام: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ بَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الأَعْمَالِ. اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي).

ويعني ذلك أن نتوكل على الله أولاً بالدعاء ونعمل

على تحصيل اليقين وتحسين النية والعمل واستصلاح ما يفسد من صفات النفس.

نسأل الله سبحانه أن يطهر أنفسنا، ويستصلح ما فسد منا وينير لنا طريق الهداية بنور الولاية وأن يتحفنا بلطفه للتخلق بمكارم الأخلاق والتحلي بشمائل الخير، إنه نعم الطبيب ونعم الرب القريب المجيب.

(وإلى لقاء آخر في حلقة جديدة إن شاء الله)

٢٠ من شهر رمضان المبارك ١٤٤٤هـ

خواطر

من خطبة النبي الأكرم ﷺ في استقبال شهر رمضان

(الحلقة السادسة)/ محمد حسن آل إبراهيم

حين يتحدث الأنبياء تنتشر الحروف بورود الرحمة، فتنضح عبارتها عبرة وعبيراً، وينتشي الهواء بعطر النبوة، وتميل أغصان الشجر بما تحمل من ثمر، ويصغي الطير في أوكاره، وتنجذب الكائنات إلى رحمة الله المهداة للعالمين، تتفتح أبواب السماء وتتضح مناهج الخير، فيذبل نبات الشوك ويضمحل، وتزاح العقبات في السبل، وقد نهج لهم الحبيب المصطفى منهج الحب والصفاء، وأبان لهم الطبيب مسلك الصحة والشفاء، بما مر من تهذيب النفس والاستباق لقطف كرائم الأخلاق ، وها هو يقرب لهم البعيد ، ويزيدهم ترغيباً في المزيد ..فقال وأنعم به من مقال:

▪ وَمَن خَفَّفَ فِي هَذَا الشَّهرِ ...

ولأنه شهر الرحمة فقد أراد الله لنا أن نتعرف الرحمة في أنفسنا ونتمثل هذا الخلق الرباني ونتحلى بهذا الروح النوراني، ونستنشق عبير الرحمة من صنائع أيدينا ونتذوق الإحسان بما نسديه من بر لمن حولنا.

فالرحمة هي الغاية وهي والوسيلة، وهي البداية والنهاية، قَالَ اللهُ جَلَّ في عُلاه: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ...﴾ وما التلويح بالعقاب الأخروي إلا حياشة للبشر إلى رحمة الله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هود (١١٩).

فمن طلب الرحمة أدركها ومن نأى بجانبه فالويل مثواه حيث تخلص الجنة وصافي رحمة الله للمؤمنين الذين رغبوا في السعادة فأقصى الله عنهم زمرة الأشقياء إلى حيث أرادوا.

ولم يزل ولا يزال نداء الرسالة للإنسان للحيد عن مزالق المهالك، وها هو النبي ﷺ يدعوهم لرسم خط في مسار التهذيب على طريق التغيير، والتخفيف عمّا ملكت أيمانهم، والتخفيف ها هنا مطلق غير مقيد بمقدار معين، وإن كان

مما ينبغي أن يلحظ ويصدق عرفاً عليه بكونه تخفيفاً في قبال الإثقال و التشديد:

- **عَمَّا مَلَكَت يَمِينُهُ،**

وما ملكت اليمين من أمة أو عبد من الرق، وإن انتفت هذه العناوين في عصرنا، إلا أن كلام النبي ﷺ يعم كل من يندرج تحت إمرة الرجل وإدارته المعيشية من زوجة وولد وماشابه من خادم ومستخدم وعيال.

وبمقدار ما يحمل قلبك من رحمة ورأفة تتنزل عليك شآبيبها وبمقدار ما تبلغ من مدارج الكمال الرحماني بمقدار ما تنال من الرفعة المقامية، فالرحمة التي بين جوانح نبي الله موسى بن عمران كانت من أسباب لياقته لمقام النبوة، ولماكان نبينا الأكرم ﷺ ينبوع الرحمة والرأفة كان هو الرحمة لكل العالمين من الأولين والآخرين. وهو الضامن لمن خفف عما ملكت يمينه أن تشمله الرحمة وبالتالي يكون ممن:

- **خَفَّفَ[1] اللهُ عَلَيهِ حِسَابَهُ،**

(١) تخفَّف الحِمْلُ: صار خفيفًا. تخفَّف من الحِمْل: أزال بعضَه ليَقِلّ ثِقَلُه «تخفَّف من ثيابه لشدَّة الحرّ».

وكما يخفف المرء (عمّا) ملكت يمينه فيأمن، فكذلك بمفهوم الموافقة إذا ما خفف (ممّا) ملكت يمينه فلا يتوجه له الحساب لانعدام أسبابه، كما لو أعتق عبده لوجه الله، كذلك لو أن إنساناً خرج من ماله كما فعل مولانا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حيث نقل أنه خرج من ماله ثلاث مرات، وكذلك فإن الفقير والمسكين يقول عنه الإمام الصادق عليه السلام: (إذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنة فيضربوا باب الجنة، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن الفقراء، فيقال لهم: أقبل الحساب؟! فيقولون: ما أعطيتمونا شيئا تحاسبونا عليه، فيقول الله عز وجل: صدقوا، ادخلوا الجنة)[1].

وعنه عليه السلام: (إن استطعت أن لا تنال من الدنيا شيئا تسأل عنه غدا فافعل)[2].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (اقنع بما اتيته يخف عليك الحساب)[3].

وباختلاف أحوال الناس في الدنيا تختلف أصناف الناس في الحساب فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا

(١) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ١ – الصفحة ٦٢٤
(٢) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ١ – الصفحة ٦٢٤
(٣) ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج ١ – الصفحة ٦٢٤

الكتاب الذين اصطفينا...﴾ -: فأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر.

- عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (أمتي ثلاثة أثلاث: فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلث يحاسبون حسابا يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكشفون)[1].

يقول مولى الموحدين أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: (والناس يومئذ على طبقات ومنازل، فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا، ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لم يتلبسوا من أمر الدنيا بشئ، وإنما الحساب هناك على من تلبس بها هاهنا، ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير)[2].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل محاسب معذب، فقال له قائل: يا رسول الله! فأين قول الله عز

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ٦٢٣
(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ٦٢٣

وجل: ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾؟ قال: ذلك العرض يعني التصفح)[1].

(وروي أن الحساب اليسير هو الإثابة على الحسنات والتجاوز عن السيئات، ومن نوقش في الحساب عُذِّب)[2].

- منحنى العادات الحسنة

وحين ينحو الإنسان مناحي الخير ويسلك مسالك البر ويضع أولى أقدامه على خطى التصحيح تتغير المعادلات وتتبدل الدلالات، وعلى الإنسان أن يراقب نفسه في جنوحها للخير ويشاهد الرسم البياني لمعدلات الوعي والسلوك والخلق الطيب وهي تصعد بمنسوبها نحو الكمال فيحمد الله ويستزيد ويحث الخطى، ويعلم أن الله قد صدقه وعده من المغفرة والتوفيق للخير، فكم يظلم الإنسان نفسه باليأس والقنوط من رحمة الله إذ أن الشيطان يتخذ من خطأ بني آدم وسيلة لقهرهم وإذلالهم وحجبهم عن إدراك وتلمس معنى سعة رحمة الله، وكأن النجاة غاية لاتدرك وكأن الشقاء

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ٦٢٣
(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ٦٢٣

قضاء لايتغير، بلى على الإنسان أن يدرك كل ذرة عمل صالح يعملها وأن لايستهين في مقام العمل بأي منجز، إذ أن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة ٧-٨.

إن ميزان الأعمال كما هو حساس للشر فإنه شديد الحساسية للخير ولذا نقول ينبغي أن ينوي الإنسان جميع أعماله في سبل الخير ، وأن لايستصغر المعروف فيتركه، وفي إطار احتساب النقاط في اكتساب العادات الحسنة أن يدون كل نقطة فيحتسبها انتصاراً لجوانح الخير وموجبات الأجر فيكون بذلك شاكراً لتوفيق الله ومستزيداً به، وقد يرد في الذهن سؤال ما الفرق بين العجب بالعمل والإعتداد به ، وهنا نقول أن الفرق يعرف من خلال سلوك الإنسان نفسه فإن كان ذلك الشعور يدعوه للتوقف وعدم الاستزادة فهو العجب الذي قال عنه سيد الوصيين (الإعجاب يمنع الإزدياد) وهو نوع من الخلق الذميم إذ هو أحد حساد العقل، بينما يعمل الإعتداد على تثمين قيمة العمل والشكر على التوفيق له.

ومن طريف ما رأيت من أمثلة شبيهة للخطأ في التقييم ورصد التغيير، أن رجلاً يطهو حساءً وقد غرف غرفة بالملعقة وصار يتذوقها فوجد الحساء بلا ملح فأخذ يرش الملح على الحساء الذي في القدر ثم يتذوق ما في الملعقة ويكرر العملية ولكنه لا يجد للملح طعماً في ملعقته، والحال أنه أفسد الطعام بكثرة الملح.

هكذا نحن حين نخطئ في تقييم الأعمال والمنجزات ثم ينتج عن ذلك شعور بالإحباط واليأس .

لذا فإن كل بادرة خير وكل عمل إيجابي هو مؤشر على الجنوح نحو الصلاح والفلاح والنجاح، فينبغي تنميتها وتشجيعها وهذا بحد ذاته سلوك تربوي أكده النبي الأكرم والمربي الأعظم بقوله:

- **وَمَن كَفَّ فِيهِ شَرَّهُ، كَفَّ اللهُ عَنهُ غَضَبَهُ يَومَ يَلقَاهُ،**

كلما زاد الإيمان بالغيب والمعاد كلما حسن العمل وازداد، فمن أيقن بالبعث والنشور أدرك خطر الشر والشرور، وتخلص منها واشتغل بتنقية أعماله.

إن هذا التوجيه النبوي والتنويه الرسالي لفي غاية اللطف والكرم والسخاء حيث يطلب من الإنسان نفسه فسحة لراحة النفس من شرورها، ومساحة نقية من نوازع الشر لاختبارها، فغاية ما يطلب منك أيها الإنسان قبل البر والإحسان أن تقف موقفاً شجاعاً وتقول لنفسك كفى شقاءً ، كفى بعداً، كفى جفاءً، كفى ضياعاً، كفى فراراً من الله.

اكبح جماح نفسك وأمسك لجام خيلك وهي تعض على شُكُمها، انتهِ، كفّ، ارتدعْ، وامنح نَفْسَكَ رَمَقاً ينجيك من الغرق في لجج الحياة المتصارعة والغامرة.

أيها العبد الضعيف أحسن لنفسك بكف شرها عن غيرك في حيز زماني قدره ثلاثون يوماً ليكف الله الجبار المقتدر المنتقم عنك غضبه في يومٍ كان مقداره ألف سنة مماتعدون!!

يرسم لنا إمامنا السجاد عليه السلام صورة مختصرة لسوء ما نواجه به الله سبحانه من شرورنا فيقول في دعاء أبي حمزة الثمالي : (تَتَحَبَّبُ اِلَيْنا بِالنِّعَمِ وَ نُعارِضُكَ بِالذُّنُوبِ،خَيْرُكَ اِلَيْنا نازِلٌ، وَ شُّرنا اِلَيْكَ صاعِدٌ، وَلَمْ يَزَلْ وَلا يَزالُ مَلَكٌ كَريمٌ يَأتيكَ عَنّا بِعَمَل قَبيح ، فَلا يَمْنَعُكَ ذلِكَ مِنْ اَنْ تَحُوطَنا

بِنِعَمِكَ، وَتَتَفَضَّلَ عَلَيْنا بِآلائِكَ).

أوَ يصلح أن يكون هذا الشر الصاعد وهذا القبيح المرفوع في ليالٍ تتنزل فيها الملائكة والروح؟!

أوليس أحرى بالإنسان أن يستحي من ربه؟! وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

يالقسوة هذا القلب ويالخسران هذا العبد، إن مثل هذا القلب يحتاج لضخ مزيد من الدماء في جوفه ليحيى وينتعش، إن هذا العبد ليحتاج أن يمسح بكفه على رأس يتيم لتتفجر هذه الصخرة في صدره أنهارا.

ففي وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: (يا علي من مسح على رأس يتيم ترحما له أعطاه الله عز وجل بكل شعرة نوراً يوم القيامة).

وقال رسول الله ﷺ: (من أنكر منكم قسوة قلبه فليدن يتيماً فيلاطفه، وليمسح رأسه يلين قلبه بإذن الله عز وجل إن لليتيم حقاً)[1].

(١) جامع أحاديث الشيعة – السيد البروجردي – ج ٢١ – الصفحة ٤٢١.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

▪ وَمَن أَكرَمَ فِيهِ يَتِيماً، أَكرَمَهُ اللهُ يومَ يَلقَاهُ،

يعيش الطفل بين أبويه مدللاً وينمو بما يوليانه من حب وعطف ورعاية فتتهذب مشاعره بحسن معاملتهما له وتنتظم أفكاره وفق البيئة التي نشأ فيها، ولأن الأبوين مجبولين على المحبة والعطف فهما أحرص الناس على أطفالهما ، وهذا ما يفتقده اليتيم وهذا عين ما لايستطيع أن يقوم به غيرهما، وحين يجتهد المجتمع في توفير الحد الأدنى من الكرامة لليتيم يكون قد ساعده في اجتياز مرحلة اليتم بسلام، هذه المرحلة التي يكون فيها الإنسان في أكثر أوقات ضعفه محتاجاً للحماية والتوجيه والرعاية.

الكرامة مقصد من مقاصد التشريع تتأكد كحاجة لليتيم وتتوجه كدور هام للمجتمع. إن كل ثغرة اجتماعية توجد في المجتمع تكون منفذاً من منافذ الشيطان ومصدراً من مصادر الاضطراب في بنيته، وقد قالها سيد الوصيين أمير المؤمنين عليه السلام: عجبت لمن لايجد قوت يومه كيف لايخرج على الناس شاهراً سيفه، فإذا ضممت إلى هذه الحالة يتماً ومرارة عيش وهضم

حق وإساءة معاملة فماذا تنتج؟

إن إكرام اليتيم يعني أن تحفظ حقه، وتدير ماله بما ينمّيه إن كنت وصياً عليه، وأن تكرمه بما تستطيع من عناوين الإكرام المادي والمعنوي، وهذا من شأنه أن يعوض بعضاً مما لحقه من اليتم، ويجبر ما انكسر في قلبه من خاطر.

مقابل هذا الصنيع يلقاك الله بكرامته وهي العتق من النار وغفران الذنوب وستر العيوب وإجزال العطاء، ورضوان من الله أكبر.

(وإلى لقاء آخر في حلقة جديدة إن شاء الله)

٢٣ من شهر رمضان المبارك ١٤٤٤هـ